

مَبَاحِثُ فِي الْكِتَابَةِ اللِّسَانِيَّةِ الْجَزَائِرِيَّةِ

قِرَاءَةٌ فِي كِتَاب: الْوِظَائِفُ النُّحَوِيَّةُ فِي مُسْتَوَى النَّصِّ لَعَبْدِ الْجَلِيلِ مُرْتَاض.

*Studies in Algerian linguistic writing**A reading of the book: Grammatical Functions at the Text Level by Abdul**elJalil Mortadh*

الأستاذ عمر عريب *

جامعة مولود معمري تيزي وزو
(الجزائر)omar.arib@fll.ummto.dz

ملخص:	معلومات المقال
يهدف هذا البحث إلى دراسة الأعمال اللسانية للدكتور عبد الجليل مرتاض، من خلال كتاباته اللسانية المتعددة، و قد اعتمدنا على تقديم قراءة في كتابه الوظائف النحوية في مستوى النص، الذي طرح فيه عدّة مفاهيمية خصبة، أبانت عن العمق اللساني الذي يتميز به مرتاض، حيث تعرض في الحقيقة إلى درسين لغويين مختلفين من حيث تاريخ النشأة و الانتماء الثقافي، تكلم عن النحو العربي أصوله و قواعده و منهجه، و عن لسانيات النص، فهما يختلفان من حيث الموضوع و الغاية و المنهج، و الذي كان موضوعه هو الجملة العربية من حيث هي كلّ يؤدي وظيفة واحدة سواء أكانت نصّاً مستقلاً، أم كانت وحدة داخلية في تركيب نص أكبر، فالتراث النحوي العربي ليس شيئاً هامشياً بل يحتل موقعا متميزا في خارطة النحو النصي الحديث، حيث إنّه يشترك معه في العديد من القضايا التي يدرسها نحو النص.	تاريخ الإرسال: 2023/10/26 تاريخ القبول: 2024/11/28
	الكلمات المفتاحية: ✓ الكتابة اللسانية ✓ لسانيات النص ✓ عبد الجليل مرتاض ✓ الوظائف النحوية
Abstract :	Article info
This research aims to study the linguistic works of Dr. Abdul Jalil Mortadh, through his many linguistic writings, and we have relied on providing a reading of his book <i>Grammatical Functions at the Text Level</i> , in which he presented several fertile concepts that revealed the linguistic depth that distinguishes Mortadh, where he presents In fact, there are two different linguistic lessons in terms of history of origin and cultural affiliation. He talked about Arabic grammar, its origins, rules, and methodology, and about the linguistics of the text. They differ in terms of subject matter, purpose, and method, and the subject of it was the Arabic sentence as it is a	Received Accepted
	Keywords: ✓ Linguistic writing ✓ Text linguistics

whole. It performs one function, whether it is an independent text, or a unit within the structure of a larger text.

- ✓ Abdeljalil Mortadhi
- ✓ Grammatical functions

1. مقدمة:

لقد أضحي مفهوم النص مع بداية القرن العشرين من المفاهيم الأساسية وصار ذا خصوصية، ومن المفاهيم المفاتيح للعمق والامتداد والشمول المعرفي، حيث عُدَّ من المفاهيم التي اتكأ عليها البحث اللساني في العقود الأخيرة والذي يجعل من المشتغل بمسائل اللغة يُعمل عقله وتفكيره ويصوّبه نحو مراجعة ما تمَّ بناؤه في النظريات اللغوية القديمة، بالإضافة إلى بناء نماذج جديدة توصف بها الظواهر اللغوية التي يثيرها هذا المفهوم، لم يرد مصطلح النص في الكتابات اللسانية الغربية الكلاسيكية قبل القرن التاسع عشر، كما ان المباحث اللغوية المتناولة للظواهر اللغوية لك تتجاوز الجملة كما نجده في النحو الفرنسي الكلاسيكي، كما انه غاب عن النظريات اللسانية الحديثة كمصطلح و ليس كمفهوم وذلك باستخدام مصطلحات أخرى من قبيل الخطاب، الكلام، حتى في الدراسات اللغوية العربية القديمة، وهذا كله اعتبرهم أن النص وحدة استعمال لا وحدة نظام، و أن الجملة هي أقصى مستويات التركيب وبالتالي هي أكبر الكيانات اللغوية.

و من أجل الارتقاء بالجهاز النظري إلى أعلى مراتب التجريد بالاختصار في أصوله وقواعده والاقتصار على المزيد من التبسيط هو أرقى المطالب التي يسعى إليها الباحثون في علومهم، و قد أثر هذا الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة النص في التّحول من حيث المنهج والأصول والقواعد، ذلك أنّ معرفة الأصول والبحث فيها تجعلنا نقع في عملية موازنة بين ما انتجه النّحو العربي والنظريات اللسانية، و للكتابة اللسانية الجزائرية جهوداً لا يمكن عض الطرف عنها في بلورة مفاهيم المقاربة النصية بعدها أسلوب تحليل جديد، إذا تعدُّ تلك

الكتابات جدّية بحق أتت بالكثير من المفاهيم التي مكنت من وضع قراءة تحليلية كإضافة إلى القراءات الأخرى، و من بين أبرز اللسانيين نجد عبد الجليل مرتاض الذي لا يخفى على أحد جهوده في النظر في الكثير من القضايا اللسانية .

و بناءً على ما سلف سنحاول في هذه الورقة البحثية أن نتناول هذا الانتقال بالنقد و التحليل وذلك بالوقوف عند القواعد و الأصول و المنهج في كتاب : الوظائف النّحوية في مستوى النص لعبد الجليل مرتاض، باسطين القول عن أبرز القضايا اللسانية التي تناولها الكتاب ، كما أننا سننطلق من الإشكالية الآتية: كيف اسهم الكتابة اللسانية لعبد الجليل مرتاض في بلورة مفاهيم اللسانيات النصية و تبسيط جهازها النظري؟ و كيف انعكس التّحول من نحو الجملة إلى علم النص من حيث المنهج و القواعد والأصول التي انبنت عليها النظريات اللسانية الحديثة؟ و هل أثر ذلك على الدّرس النّحوي العربي الحديث؟

2. قراءة في مفاهيم الدراسة:

1.2 مفهوم النص:

يعد النصّ الوحدة الأساسية للتحليل في الدراسات اللسانية النصية، و بعده مفهومًا لم يكن متداولاً إلا في العصر الحديث فإنّه يصعب تحديد تعريف جامع لتعدّد المفاهيم التي وضعت له، بالنّظر الى الخلفيات المنهجية و المعرفية لكل من قام بتعريفه، غير أننا يمكن أن نقدم مجموعة من التعاريف التي أخذها بعض اللغويين الغربيين والعرب المحدثون لهذا المصطلح حيث يرى الألماني أرنولد وينريش أن النص: « كل يشتمل على عدد من العناصر التي ترتبط فيما بينها بعلاقة تبعية متبادلة هذه العناصر متتابعة في نظام منسجم وحصيف تسهم كل

المكتوبة وبعدها كذلك تحليلاً جديداً، حيث يرى الازهر الزناد أن « لسانيات النص أو نحو النصوص تدرس النص من حيث هو بنيه مجرده تتولد بها جميع ما نسميه ونطلق عليه لفظ نص ذلك برصد العناصر القاره في جميع النصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها هذا تتقاطع في موضوعها مع جميع العلوم بدراسة النص معها تجاوزها للجملة لأنها اقصاها تجريدا فيما تقيمه فلا تهتم بالمضمون وانما تبحث فيما يكون به الملفوظ نصا» (الزناد، 1993، صفحة 18).

الزناد هنا لا يميز بين لسانيات النص وبين ما يسمى النحو الواسع و كل القوانين التي تشكل نظام النص وتدرسه لسانيات النص على أنه بنية مجردة مكونة من مجموعة من العناصر الثابتة، ولا تهتم بدراسة مضامين النصوص، بل تركز جل بحثها في وصف النصوص للولوج الى أهم العناصر المشتركة بينها، أو ما يطلق عليه نظرية الجملة الموسعة، فلسانيات النص ذات توجه شمولي ف« العموم والشمول يحس عموم اللغة باعتبارها شكلاً وخصوصيات الانجاز الموفر للملائمة الاختيارية وربط البناء النظري وتحقيقه في الواقع اذ من شروط الملائمة قيامها على التأويل الدلالي المناسب الذي يوافق حدوس المستعملين» (محمد ا.، 2001، صفحة 82).

إذ تعتبر النص الموضوع الأساسي لها، وهو بدوره تحتها جملة المباحث الاخرى كالانساق والانسجام وغيرهما وتبحث في المعايير التي تجعل من النص نصاً، و بناءً على ما سلف ذكره فقد «أضحى مفهوم النص من المفاهيم الأساسية، وصار ذا خصوصية، ومن المفاهيم المفاتيح للعمق والامتداد والشمول المعرفي» (محمد ا.، 2001، صفحة 190)، فالنص إذا عُدَّ من المفاهيم التي اتكأ عليها البحث اللساني في العقود الأخيرة والذي يجعل من المشتغل بمسائل اللغة يُعمل عقله وتفكيره ويصوّبه نحو مراجعة ما تمّ بناؤه في النظريات اللغوية القديمة، بالإضافة إلى بناء نماذج جديدة توصف بها الظواهر التي يثيرها هذا المفهوم.

مصطلح النص لم يرد في الكتابات اللسانية الغربية قبيل القرن التاسع عشر، كما أن المباحث اللغوية المتناولة للظواهر اللغوية لم

قطعة نصية فيه توضيح القطعة التي تليها، وتسهم هذه الأخيرة بدورها في توضيح سابقتها» (محمد، 2008، صفحة 70).

نستشف من هذا التعريف أنّ النص هو عبارة عن مجموعة من الجمل تكون وفق تراتبية معينة ومتتابعة التي تشكل كلاً متكاملًا منسجمًا حيث لا ينفك معنى الأولى عن الثانية، وهو نظام منسجم تربط بينها مجموعة من العلاقات التي تحدد وفق اطر منهجية محددة، و ذلك من منطلق أنهم « اعتبروا النص وحدة استعمال لا وحدة نظام بل هو متتالية من الجمل». (محمد ا.، 2001، صفحة 14)

أما مصطلح النص عند هاليداي ورقية حسن: « كلمة تستخدم في علم النص للإشارة الى قطعة منطوقة أو مكتوبة مهما قصرت أو طالت امتدت، والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجمل بالعبارات، وفضل نظرة الى النص أنه وحده دلالية» (الكريم، 2009، صفحة 31)، فالنص عندهما اذا هو قطعة منطوقة أو مكتوبة سواء كانت او طويله وما يميز النص أنه وحدة دلالية متكاملة، فالنص يجب أن يكون بين الجمل التي تشكله علاقات ترابط.

أما عبد السلام المسدي فيرى أن مصطلح -النص- « عبارة عن كيان عضوي يحدده انسجام نوعي ناتج عن علاقه التناسب القائمة بين اجزائه ذلك أن النص إنما هو موجود فعالجه معالجة الموجودات، وهو موجود تركيبى بمعنى انه جملة من العلاقات المكتفية بذاتها تكاد تكون منغلقة» (المسدي، 1993، صفحة 51)، فالمسدي هنا يرى بأن النص وحده ينتظم أجزائها وفق نظام خاص مرتب يكون بين أجزائه انسجام تام أنه انتظم وفق مجموعة من العلاقات الخاصة به.

وهنا يجب أن نوضح كذلك أمرًا مهمًا يتعلق بمصطلح لسانيات النص والمصطلحات التي رآها اللسانيون المحدثون تتقاطع مع هذا المصطلح كعلم النص وعلم اللغة النصي وكذلك نحو النص، ويظهر هذا الاختلاف في المصطلح في جل الكتب العربية الحديثة بالرغم من الاختلاف الواضح هذه المفاهيم مصطلح لسانيات النص ففي الغالب يرتبط بالنحو، ذلك أن لسانيات النص تهتم بالخصوص بتحليل النصوص سواء المنطوقة أو

تجريدتها، و قد رامت لسانيات النص إلى دراسة النصوص بأنواعها، فالعلاقة بين النص و اللغة علاقة جدلية، هل هو تابع لها؟ هل يتحقق في النص النظام النحوي الذي يتحقق في الجملة؟ طبعاً لا مرأى في أنّ هذه الإشكالية قد طرحت على الساحة اللغوية و اختلف فيها اللسانيون العرب المحدثون، إن من الشروط التي وضعها العلماء حتى يعد النص من اللغة أن يكون قابلاً للتجريد حين تحليله لوحدات دنيا، « فالنص يمكن أن يعتبر من اللغة متى توفرت فيه شروطه اللغوية واهمها قابلية التجريد وامكانيه دخوله في نظام اساسه قيام علاقات نسقيه بين مكوناته وامكانيه استبدالها بمكونات تنتمي الى نفس الصنف في النظام الجدولي» (محمد ا.، 2001، صفحة 29) ، كما أنهم اعتبروا النص الذي يتحقق فيه النظام الصوتي والنظام الدلالي والنظام النحوي كم اعتبر كذلك النص هو اكبر وحده دلالية قابلة للتحليل الى وحدات أصغر حتى يستفرغ كل امكانيات التحليل، فالنص هنا ذو بعدين نسقي وهو سلسله تتكون من اجزاء مقابل النظام باعتباره صنفا ذا بعد جدولي مكونا من افراد أعضاء.

إن الدراسة اللسانية منذ دي سوسير كان تركز على دراسة اللغة بعدّها نظاماً قابلاً للتجريد و على هذا الأساس ف«إنّ اللغة شبيهة بقطع الشطرنج فإذا رصفتها اثنتين أو أكثر انتقلت من نظام اللغة الى حدثان النص، ومن الجدول إلى النسق... هذا التصور يحصل اللغة ونظامها في جدول من الوحدات كل واحدة منها قابله للتركيب الى اخرى حسب قواعد معلومة... وبالتالي يرجع النظام الى مجرد جدولة، وتخرج منه جميع ضروب الأنساق فلا مجال فيه لبنية المقطع ولا الجملة باعتبارها نسقا من الصوامت والصوائت والاجزاء والمواضع، وهذا ما يجعل النظريات البنوية تصنيفية غير توليدية» (محمد ا.، 2001، صفحة 11) ، إن الانتقال من الكلمة إلى الجملة هو انتقال نوعي وليس مجرد ارتقاء من مستوى في التركيب لآخر، ذلك الانتقال من الكلمة المفردة إلى المركب ومن المركب

تتجاوز الجملة ما نجده في النحو الفرنسي الكلاسيكي حتى دوسوسير لم يتناول مصطلح النص إلا أنه ورد عرضاً في كتابه في سياق حديثه عن موضوع الدراسة الفيلولوجية باعتباره علماً يتناول ضبط النصوص وتأويلها والتعليق عليها، أما في الدراسات اللغوية العربية التراثية لم يستعمل بنفس الدلالة التي هو عليها في الدرس اللساني الحديث ف«النص عند النحاة والبلاغيين العرب فهو عملية يقوم المتكلم أو قل وجه من وجوه العملية التي يقوم بها المتكلم و نوع من أنواعها ، ضرب من ضروب الكلام والقول و ليس هو في حد ذاته» (محمد ا.، 2001، صفحة 190) ، و قد نحى بعض اللسانيين العرب إلى دراسة النصوص العربية وفق المقاربة النصية، حيث تجاوزوا نحو الجملة إلى نحو النص و حاولوا دراسة النص من منظور شمولي، على الرغم من أن « مصطلح النص بالمفهوم الذي عليه الآن أمر دخیل على النظرية النحوية العربية» (محمد ا.، 2001، صفحة 192) ، إذ لا ينفك البحث اللساني في هذا المجال من الرجوع إلى معرفة الأصول التي انبنت عليها الظواهر اللغوية العربية و التي تجعل من الباحث في عمله يقع في الموازنة بين النحو العربي و النظريات اللسانية الحديثة.

كما يمكننا أن نشير هنا إلى مسألة مهمة بخصوص تحقيق هذه المقاربة و اسقاطها على اللغة العربية ومعرفة الخلفيات المعرفية والإبستمولوجية لها، ذلك أنه لا بدّ من الرجوع دائماً إلى الأصول التي بني عليها النحو العربي و محاولة الموازنة بينها ، وأن نسقط مفاهيم اللسانيات النصية على اللغة العربية من جهة، ومن جهة أخرى تأصيلها في التراث النحوي العربي ف«الاسقاط كلمة مقتبسة من الرياضيات وهي مفهوم معناه اقتباس مؤمن من نظرية حديثة واستعماله في نظرية المتقدمة عليها في الزمان غير أنّ بعض الباحثين يعتبرون هذا تأصيل أو البحث عن الجذور التي تقدمت نظريتهم فتقيم نظريتهم بذلك وجهة وبرهاناً على قوتها» (محمد ا.، 2001، صفحة 21) .

2.2 النص و النظام و النسق:

نعلم أنّ الهدف الأساس من البحث اللساني الحديث هو دراسة اللغة دراسة علمية من خلال البحث في مدى

مراتب التجريد بالاختصار في أصوله والاقتصار على ما لا يقبل المزيد من التبسيط هو أرقى المطالب التي يسعى اليها الباحثون في علومهم، شرط أن يأخذوا الأصول التي انبنت عليها بعين الاعتبار حيث إنَّ الاقتصار على هذا الجانب دون الالتفات الى ما تشقق اليه تلك الأصول عند تصريفها في مختلف الوجوه يفقد الجهاز النظري قدرًا عظيمًا من الملائمة ويكون الشأن فيه من اتقن عملية الجمع بالمعنى الرياضي واهمل وجوه توظيفها في مختلف الميادين، فضرورة توفير الملائمة في الدراسات اللغوية أي أن يكون دراسات اللُّغوية أكثر ملائمة للواقع اللغوي.

2.3 النُّحو و التَّحْوِية:

لقد ذكر عبد الجليل مرتاض أن للنَّحو عدة مفاهيم ومصطلحات وسياقات ضبطت ضبطًا تابعًا للنظريات اللسانية يمكن أن يمحصر في مبادئ ذكرها مرتاض وهي كالنحو الآتي: (مرتاض، 2001، صفحة 204\205)

أ- أنه يعني الوصف التَّام للسان مبادئ وتنظيم اللِّسان أقسامًا مختلفة منها الفونولوجيا بوصفها دراسة الفونيمات وقوانينها في التركيب وكذلك علم المفردات وعلم الدلالة.

ب- النحو اجراء لوصف مورفيمات نحويه ولفظية لأشكالها من حيث اعرابها وتغيرها تداخل الصوائت القصيرة التي تميز حاله من الحالات الأعرابية مثل ما يسود الاشكال تغيرات داخلية تدل عليها بنيتها الكلية وهذا النوع من المفهوم من النحو يتعارض مع الفونولوجيا التي هي الدراسة للفونيمات تأليفها مع ما يدعوه لسانيون المورفوسنتيكس اي علم تركيب البناء .

ت- النَّحو هو وصف المورفيمات النَّحْوِية وحدها من تذكير وتأنيث وتعريف وحروف الجر وروابط وصل وعطف مع اقضاء المورفيمات المعجمية من أسماء ونعوت وأفعال وظروف الكيفية، إلى جانب وصف القواعد التي تحدد وظيفة المورفيمات في الجملة تزج هذا الضرب من النحو مع السانتكس وحدها ويتعارضوا بالفونولوجيا وعلم المفردات أنه يتوافق مع دراسة الاعراب ولكنه يقصي دراسته تكوين الكلمات أي الاشتقاق،

إلى الجملة يبدو أمرًا خطيًّا متجانسًا لكنه أمر شديد التباين نتبين ذلك من تأمل العلاقات القائمة بين العناصر، غير أن بعضهم يرفض أن يكون النَّص أكبر وحدة في النَّظام إذُ « يرى بنفنيست أن الجملة يمكن أن تحلل إلى عناصر لكن لا يمكن دمجها في وحدة أكبر منها فالجملة لا يمكن أن تصلح أن تكون وحدة مندمجة في ضرب آخر من الوحدات » (محمد ا.، 2001، صفحة 47) ، معنى ذلك أن الجملة تتكون من علامات لكنها ليست في حدِّ ذاتها علامة... إن هذا التصور ظهر في وقت ساد فيه الاعتداد بالجانب الشكلي المجرد عند سوسير وهي عند بالمسلاف بالشكلية المادي الذي قوامه اللفظ والعبارة مع التوزيعيين الصراع بينهم بالقول بضرورة اعتبار الاستعمال الحقيقي وإدخال السياق المقامي في النظرية اللغوية لذلك جاء بنفنيست لتخفيف القطيعة وكانت اعماله بداية لعناية بتحليل الخطاب وارتباطه بالاستعمال والمقام.

إذًا جلُّ الانحاء قد اعتبرت الجملة أقصى مستويات التركيب وبالتالي أكبر الكيانات اللغوية حينها سوسير الجانب المنجز المستعمل من اللغة متعللاً بأن اللغة شكلاً لا مادة، فاصلاً بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام، حيث عدَّ الأولى موضوعاً للدراسة اللسانية، وقد سارت على نمجه اللسانيات البنوية الأمريكية (بلومفيلد واتباعه) أواخر العقد السادس من القرن العشرين ،حيث أقصى من الدراسة اللسانية المعنى والمقام ولم يجعل لهما مكاناً في الجهاز النظري، وبعد كل هذه المحطات من سوسير والمدارس المنبثقة من البنوية والتي اهتمت النص ودراسة المعنى والمقام واخرجتهما من الجهاز النَّظري جاءت المدرسة الإنجليزية ممثلة في (فيرث) الذي قدم نقدا للدارسين على اهمالهم للاستعمال الفعلي اللغة في اطار المجتمع وما يفرضه البعد الاجتماعي الجماعي من ضوابط وقيود على مستعملي تلك اللغة، فكان الهدف وراء ظهور لسانيات النص هو الارتقاء بالجهاز النظري إلى أعلى

فهنا الخطابي يقول بأن المستمع وكذلك المتكلم الذي يريد أن يلقي خطاباً معيناً أو ذلك المتلقي الذي يريد أن يفهم الخطاب الذي أُلقي عليه فإنهما لا بدّ لهما أن يكون لهما معرفة سابقة أو خلفية معرفية يستندان عليها للإلقاء أو فهم الخطاب يقول ابن خلدون: السَّمْعُ أبو الملكات اللسانية، إذا لا يمكن أن يباشر المستمع نصّاً وهو خالي الذهن من كل تجربة خطابية فإنه لا يعقل أن يتكلم متكلم دون أن يعتمد على سابق تجربة في الكلام.

3. قراءة في كتاب: الوظائف النحوية في مستوى النص:

يعدّ عبد الجليل مرتاض بحقّ من اللسانيين الجزائريين المعروفين على السّاحة اللّغوية الجزائرية والعربية، الذين لهم كتابات عديدة في مجال اللسانيات عمومًا، و في اللسانيات النّصّية خصوصًا، و الكتاب الذي بين أيدينا- الوظائف النّحوية في مستوى النص- هو من الكتب القيمة على غرار الكتب الأخرى والذي سنحاول ان نقوم بتدارسه و تبين ما استجد فيه من مفاهيم في اللسانيات النصية، و الذي قدّم فيه مفاهيم نظرية وتطبيقية من التراث العربي.

1.3 الوظيفة السانتكسية:

إن من المصطلحات البارزة التي استعملها مرتاض في كتابه هو مصطلح السانتكس و الذي يحيل إلى مفهوم النص ، و ربطه بمصطلح الوظيفة التي تصلنا بالمدرسة الوظيفية عند مارتنيه، والوظيفة السانتكسية هي عند مرتاض: « ما يناط بكل عنصر من عناصر تركيب لغوي من دور ينطلق حيادياً، و ينتهي بعلاقة تضامن كليّ من العناصر التي تتقاسمه أدوارها في التركيب ذاته» (مرتاض، 2001، صفحة 07)، إذا فالنص عنده كلٌّ متكامل لا ينفك عنصر عن عنصر، تحكم عناصره علاقات، كما يرى مرتاض أن اللغة العربية تمتاز بخصائص تنفرد عن الأخرى بها ف «الوظيفة السانتكسية وظيفة عامة، و لكن تطبيقها لا يكون مطلقاً يشمل كل اللغات، إذ في كل لغة أبعاد لسانية عامة و أخرى خاصة» (مرتاض، 2001، صفحة 69\70)، فكل عنصر من العناصر المكونة للنص له وظيفة

ولعل هذا الضرب من النحو يتلاقى إلى حد ما مع ما ذكره ابن جني من أن النّحو هو انتحاء سمت كلام في تصرفه من إعراب الثنية والجمع والتّحقير والتّكسير و النسب والتركيب وغير ذلك .

إنّ ما تفتقر اليه اللسانيات العربية الحديثة- حسب مرتاض- غياب المصطلحات التي تتناسب مع ما استجد في اللسانيات الغربية الحديثة في العموم، و من هذه المصطلحات مصطلح- نحوي grammaticalité - وكذلك مصطلح - القوّة grammaticalisation - وكذلك المورفيم النحوي وأصغر وحدة صرفية، ويستعمل كذلك مرتاض في هذا الصدد من المصطلحات التي رأى أنها تتلاءم مع النصية منها مصطلح النحوية والذي نجده في النحو التوليدي والتحويل لتشومسكي أنه لكل ملفوظ يعدّه متكلم ملفوظاً تابعاً أو خاصاً بلسان ، ومصطلح النحوية عند التوليدية تسعى من ورائه الى توضيح الأحكام الحديثة لنحوي المتكلمين المتمين الى اللغة المعينة، و النحوية كل عبارة مولدة بواسطة نحو هدفه أن يوضح لساناً طبيعياً يجب أن لا ينتج وحسب عن صرامة التطبيق لقواعد النظام القطعي المعتبر بل ينبغي كذلك أن يستجيب الى حكم النحوية لمتكلمين.

كما ذكر مرتاض أيضاً أنه من القواعد التي ينبغي أن تتوفر في النص بعدّه كلاً متكاملاً، أولاً الصحة النحوية لكل جملة من جمل المكونة للنص و لا يقتضي بالضرورة صلاح النص من حيث هو الكل، و ثانياً ما يمكن أن يوجد من فساد في بعض الجمل المكونة للنص يمكن ان تنقلب استقامةً بفضل حلوله في النص من حيث هو الكل، ذلك أن المعنى ينتقل من الكل إلى الأجزاء لا العكس .

و إنّ من مبادئ الانسجام التي ذكرها كل من يول وبراون ثلاث مبادئ أساسية في النص، فمن محققات الانسجام النصي مبدأ التشابه وهو ما يحصله المستمع من الخطابات السابقة دوراً في حصول الفهم والتأويل بالنسبة الى نص الخطاب الذي يباشره، فهو ينظر إلى الخطاب الراهن و علاقاته مع خطابات سابقة تشبهه وهذا ما رجحه الخطابي في كتابه لسانيات النص،

و حدث له واقعاً، فيقدم و يؤخر، و يحذف و يضم و يظهر، كما أنَّ أي اختيار للمتحدث منه في أي وظيفة سانتكسية خاضع ما بعده لما قبله.

إنَّ مفهوم الوظيفة بالنسبة لأندري مارتينيه يعدُّ القاعدة الأساس للسانتكس، أمَّا عند تشومسكي فيعدُّ مجرد تحويل، ويمثل عبد الجليل مرتاض لهذا التحليل المارتيني من التراث اللغوي العربي عند حديثه عن الوظيفة النحوية للوحدات الدالة في السلسلة الكلامية (الوحدات المستقلة و الوحدات التابعة للكل).

2.3 بين السانتكس و الجملة و الكلام:

لقد ذكرنا سلفاً بأنَّ مرتاض قد وظف مصطلح السانتكس والذي عبر به عن مفهوم النص، و قد تحدث عن الوظائف النحوية على مستوى النص، و هو بهذا ينقلنا إلى مجاوزة النحو الذي كان يدرس تلك الوظائف على مستوى الجملة، إذ إنَّ السانتكس الوظيفي - حسب مرتاض - لا يبحث فقط في الطريقة التي ترتب فيها الوحدات الدالة لتكوين كل الملفوظات الممكنة في لغة ما أي الاستقامة اللسانية، إنما يتعدى ذلك إلى الأخذ بعين الاعتبار ما يسمى بالمقام الذي يعدُّ حدثاً خارج لساني، و هذا يجرنا إلى ما يسمى بمبدأ الشمول، إذ لا بدَّ للساني ان يدرس إلى جانب الوظائف النحوية التي تحكم النص الجوانب البلاغية المتصلة بالمقام و الحدث.

لقد تكلم علماء اللغة كثيراً عن مفهوم التوسع الذي يقع في مستوى الجملة سواء في الدرس اللساني الحديث أو التراث اللغوي العربي و إن كان الاختلاف بينهما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار خصائص كل لغة، و التوسع في عُرف اللغويين « هو إضافة عناصر محددة لعناصر موجودة قبلاً » (مرتاض، 2001، صفحة 62)، و قد يلحق التوسع في السانتكس كما يلحق الجملة النواة، و المكونة من مسند اليه (الموضوع) و المسند (المحمول)، « في حين قال علماءنا اللغويون العرب منذ أكثر من عشرة قرون إن الحدَّ ما لم يزد ما ليس له، و لم ينقصه ما ليس له » (مرتاض، 2001، صفحة 63):

محددة بعيداً عن العناصر الأخرى، و نشير هنا إلى مصطلح الوظيفة التي يرى مرتاض أن له مداليل متنوعة جداً.

يرى مرتاض أنه من الضرورة وجود وظيفتين أساسيتين و هما وظيفة الفاعل و الوظيفة الاسنادية الفعلية، بحيث حتى و إن لم يحضرا على مستوى التركيب فإنهما مضمَّنان في الكلام، و أن المتكلم حذفهما، ذلك أن الحذف (الاضمار) باب لطيف في فقه اللغة، سواء اضمار الافعال أو الاسماء أو الحروف.

أما عن دور الوظيفة السانتكسية فيرى مرتاض أنها لها « دوراً آلياً ينهض به النظام اللساني المتبع في كل لغة، و المتمظهر في أشكال لسانية لينة أو صارمة تبعاً للطاقة اللغوية المتفاوتة بعداً أو قريباً ترتيباً أو إعراباً » (مرتاض، 2001، صفحة 11)، إن الترتيب بين العناصر التي تكون النص تعمل لسانيات النص على بلورته ضمن ما تتحمله اللغة من قواعد، و عليه فإن الوظائف النحوية على مستوى النص التي تحدده تلك العناصر من جرَّ و نصب و إضافة سواء تعلق الأمر بالأفعال أو الأسماء أم الأدوات تعمل على مطابقة ترتيب الكلمات ترتيباً مناسباً، فالمزوجة بين المورفولوجيا باعتبارها دراسة للشكل و البنية الخارجية أي مظهر من مظاهر تشكيل أو تكوين الكلمات وتبدلاتها، و بين السانتكس بعدة الدراسة المتعلقة بالعلاقات بين الوحدات في الجمل الملموسة والمسلم بها يصعب الفصل بينهما، كما يشير إلى أن بلومفيلد قد أعاد التمييز بين المورفولوجيا و السانتكس وانتهى إلى ما يسمى السانتكس

التوزيقي القائم على تقنية المؤلفات المباشرة.

إنَّ الوظيفة السانتكسية يتم في حدود ما تملكه اللغة من طاقات و احتمالات و ما يحوزه ممارستها من مهارات أو ما يسمى بالملكة اللسانية سواء الطبيعية أو الاصطناعية، معنى ذلك أنَّ تُمارس العربية مجبر على أن يكون متضللاً في معرفة باب معاني الكلام خبراً و إنشاءً و استخباراً و أمراً و غيره، و إناطة كل عنصر نحوي و وظيفته اللائقة بدوره، و لهذا ركز أندري مارتيني على المتكلم و على الامكانيات التي يحوزته من أجل تبليغ تجربته التي ترسخت فيه عبر الواقع التواصلية طبعاً أو اكتساباً، إنَّ هذا التبليغ يجعل المتكلم مقيداً بالمقام يختار الوحدات طبقاً لما شاهد

داخل اللغة، فالصلة بينهما أو بين هذين الحقلين غير معلنة دائماً بوضوح، ولعلنا اذا نظرنا الى الجملة والوظيفه من منظور مدرسة براغ، وخاصة عند ماتيسوس الذي فتح الطريق للدراسات السانتكسية، وهو من اللسانيين التشيكيين الذين يعتبرون الوظيفة التبليغية أو المرجعية الوظيفية الأولية للغة- الخطاب- العادي مميزاً من قبل هيمنة هذه الوظيفة والتي تبقى متأثرة قليلاً بالوظائف الأخرى.

يرى مرتاض أنه ضمن الدراسات أو الأبحاث اللسانية هناك القليل منها من لامست عن بعد أو عن قرب الأنظمة النحوية في مستوى واحد، أو ما يسمى بنحو الجملة أو نحو النص، والذي ترجع الى اللساني ماتيسوس الذي يعدُّ بحق أول رائد حديث سعى الى إقامة الأسس والميكانيزمات لما أسماه المنظور الوظيفي متسائلاً: كيف تحمل مجموعة الجمل النمطين من الاعلام: إعلام قديم ونمط جديد، ويرى مرتاض أن العلاقة بين المستويات في دراسة الوظيفة النحوية على مستوى النص أنه « من المستبعد أن تفقه مستوى جملة بمعزل عن مستوى أو أكثر، و من العيب أن تصل بتخمينك الى أي مستوى أولى وأفضل من المستوى الآخر، ذلك أنَّ العلاقات بين المستويات ليست مباشرة ومن الصعب المرور من مستوى الى آخر» (مرتاض، 2001، صفحة 203).

4. خاتمة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة قراءة لبعض النقاط التي ذكرها مرتاض في كتابة الوظائف النحوية في مستوى النص، حيث تعرض في الحقيقة إلى درسين لغويين مختلفين من حيث تاريخ النشأة و الانتماء الثقافي، نتكلم عن النحو العربي أصوله وقواعده و منهجه، و الثاني عن لسانيات النص، فهما يختلفان من حيث الموضوع و الغاية و المنهج، و الذي كان موضوعه هو الجملة العربية من حيث هي كلٌّ يؤدي وظيفة واحدة سواء أكانت نصّاً مستقلاً، أم كانت وحدةً داخليةً في تركيب نصٍّ أكبر، في مقابل ذلك فموضوع لسانيات النص هو النص من حيث هو كلٌّ يؤدي وظيفة واحدة سواء أكان جملة واحدة أم كان متتالية من الجمل، و إذا كانت الغاية من دراسة الجملة

ولم يغفل العلماء العرب القدامى عن الفصل بين المصطلحات بشكل دقيق، كما نجد ذلك عند ابن جني حين حديثه عن الكلام و القول و الكلمة اقصاها و أدناها، و هي إشارة إلى الحديث عن التركيب، « و من ذلك ان ابن جني لم يدع غموضاً و لا ريباً في أن الكلام كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه» (مرتاض، 2001، صفحة 66)، و قد ذكر ابن جني في (الخصائص): « و هو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد اخوك، و قام محمد، و في الدار أبوك، وصه، و مه ... فكل لفظ استقل بنفسه، وجُنيث منه ثمة معناه فهو كلام » (جني، د\ت، صفحة ج1، ص 18)، بينما القول عنده ما كان ناقصاً أو تاماً « فالتام هو المفيد، أعني الجملة، و ما كان في معناها من نحو صه و ايه، و الناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد، و محمد، و إن، و كان اخوك، فكل كلام قول، و ليس كل قول كلاماً» (جني، د\ت، صفحة ج1، ص 18).

إنَّ الحديث عن وظيفة **الصويت** في اللغة العربية وظيفة لا يستهان بها في جميع المستويات اللسانية، ولا أدل على ذلك من تعدد القراءات، حيث ذكر **مرتاض** بعض الأمثلة عن ذلك، لأن صوتاً واحداً يمكن ان يقلب العلاقة بين الدال و المدلول رأساً على عقب، ليس فقط البنية الدلالية للدال بل يتعدى الى مستويات أخرى، و بناء على ذلك يقول مرتاض بأنه «بات لنا شرعا تقطيع الوحدات اللغوية في العربية إلى تقطيع ثلاثي، و ليس فقط إلى تقطيع ازدواجي: 1- الوحدات الدالة الدنيا، 2- الفونيمات، 3- الصوتيات» (مرتاض، 2001، صفحة 117).

اذا ما تحدثنا الدراسات اللسانية المتعلقة بالجملة خاصة عند مدرسة -براغ- ونقصد هنا من الناحية الوظيفية لا يمكن يكون منظورنا اليها دون أن تكون منقولة في إطار منظور عام، فالسيرورة التاريخية للدراسة اللسانية منذ او بدءاً من دوسوسير حتى مدرسه براغ في بلورة تلك المفاهيم حتى وصلت الى ما وصلت اليه عند مدرسة براغ واعطائها مفهوماً جديداً و هي دراسة الجملة دراسة وظيفية، أو لنقل وظيفة اللغة عموماً حتى وإن كان هنالك بين الوظائف في مستوى الجملة والوظائف

لتكوين كل الملفوظات الممكنة في لغة ما أي الاستقامة اللسانية، إنما يتعدى ذلك إلى الأخذ بعين الاعتبار ما يسمى بالمقام الذي يعدُّ حدثاً خارج لساني، و هذا يجزئنا إلى ما يسمى بمبدأ الشُّمول، إذ لا بُدَّ للساني أن يدرس إلى جانب الوظائف النحوية التي تحكم النّص الجوانب البلاغية المتصلة بالمقام والحدث.

قائمة المصادر و المراجع:

- 1- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، دار الهدى، بيروت، ج1.
- 2- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون النص نصاً، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993.
- 3- جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسات لسانية نصية، النادي الأدبي و المركز الثقافي، الرياض، ط1، 2009.
- 4- عبد السلام المسدي، النقد و الحداثة، منشورات دار الطليعة، بيروت، 1993.
- 5- عبد الجليل مرتاض، الوظائف النحوية في مستوى النص، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011.
- 6- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، ج1، تونس، 2001.

هي الوصول إلى نظرية للجملة العربية من حيث هي كل موحد، و تساعد على تعلم العربية و تعليمها، أما لسانيات النص فالغاية منها هي وصف النظام الذي يُقوّم موضوعه، أما منهجها فإنه الوصف، أما الأمر الذي يتفقان فيه، أن كلاهما يدرس -على نحو غير مباشر- الوحدة اللغوية فدراسة الجملة العربية تدرس النص العربي من حيث دراستها للجملة من حيث هي كل واحد و من حيث نص مستقل أو هي وحدة داخلية في تركيب آخر، و الدراسات اللسانية النصية تدرس الجملة من خلال دراستها للنص من حيث هو جملة واحدة مستقلة أو هو متتالية مؤلفة من مجموعة من الجمل.

إنّ التراث النحوي العربي ليس شيئاً هامشياً بل إنّه يحتل موقعاً متميزاً في خارطة النّحو النّصي الحديث ، حيث إنّه يشترك معه في العديد من القضايا التي يدرسها نحو النص، و عليه فمن واجب الدراسات اللسانية النصية العربية الحديثة أن تأخذ بعض أصول التراث اللّغوي العربي كالبلاغة و النّقد الأدبي والتّفسير والإعجاز باعتبار أنّها تدرس السّياق و المقام والعلاقات بين الجمل و لا يمكن أن تصل إلى نتائج قيمة إلّا إذا عادت إلى تلك الأصول و التّهل منها.

لقد تكلم مرتاض عن الوظيفة النحوية بشكل خاص، و وظف مصطلح السانتكس و الذي عبر به عن مفهوم النص، و قد تحدث عن الوظائف النحوية على مستوى النص، و هو بهذا ينقلنا إلى مجاوزة النحو الذي كان يدرس تلك الوظائف على مستوى الجملة ، إذ إنّ السانتكس الوظيفي - حسب مرتاض - لا يبحث فقط في الطريقة التي ترتب فيها الوحدات الدالة